المحاضرة الثانية

I مناهج البحث العلمي.

تعد مناهج البحث العلمي الأساس الذي تقوم عليه عملية البحث، فهي تُشكل الأدوات والإجراءات التي تُمكّن الباحث من استقصاء الظواهر وتحليلها بهدف الوصول إلى نتائج دقيقة وموثوقة. اختيار المنهج البحثي المناسب يُعتبر خطوة حاسمة لأنه يحدد طبيعة الدراسة وطريقة معالجة البيانات والمعلومات.

تتنوع مناهج البحث العلمي لتشمل المناهج الكمية التي تعتمد على الأرقام والتحليل الإحصائي لفهم العلاقة بين المتغيرات، والمناهج النوعية التي تسعى لفهم الظواهر من خلال التعمق في تفاصيلها وسياقاتها الطبيعية. إلى جانب ذلك، يمكن الجمع بين المنهجين (المنهج المختلط) للاستفادة من مزاياهما في تقديم رؤية متكاملة وشاملة للمشكلة البحثية، يشمل هذا التنوع مناهج أساسية مثل المنهج الوصفي لدراسة الواقع كما هو، والمنهج التجريبي لاختبار تأثيرات محددة، والمنهج التاريخي لتحليل الأحداث والظواهر في سياقها الزمني. من خلال هذه المناهج، يتمكن الباحث من تنظيم بحثه بناءً على خطوات محددة تضمن الوصول إلى نتائج مدعومة بالدليل والمنطق العلمي.

1. تعريف المنهج:

يعرف المنهج بأنه وسيلة وطريق البحث العلمي في الوصول إلى كشف الحقائق والإحاطة الكامل بالظواهر المدروسة، واختبار النتائج للتأكد من صلاحيتها في ظواهر أخرى ومن ثمة إمكانية التعميم، إذ يعبر عن بعض الباحثين بمجموعة القواعد المهيمنة والمسيطرة على العقل والتي تستخدم للوصول إلى النتائج. (إبراهيم، 2000)

2. خصائص المنهج العلمي:

من أهم الخصائص نذكر ما يلي: (إبراهيم،2000)

- المنهج العلمي عبارة عن أداة رئيسية يؤدي إلى الوصول إلى نتائج صادقة وموثوقة؛
- يعتمد المنهج العلمي على الفحص والتقصي الدقيق للبيانات لاستعمالها في تفسير النتائج، لذا فهو يرفض الاعتماد على العادات والتقاليد والخبرة الشخصية؛

- قابلية النتائج للتغيير بتغير العوامل وظهور عوامل جديدة، إلا أن المنهج المعتمد لا يتغير بتغير الحقائق نفسها، وهذا لا ينافي إمكانية تعديل وتطويل المناهج، فالمناهج ليست أشياء ثابتة بل تتغير بتغير وفقا لمقتضيات العلم وأدواته؛
- يستند المنهج العلمي إلى ظواهر يمكن لأي شخص ملاحظتها وهو ما يستلزم من الباحث إلى ينتقل من الأشياء للمعاني؛
- المنهج العلمي يفرض على الباحث أن يتحيز من العاطفية والذاتية؛
- يجمع المنهج العلمي بين الاستنباط والاستقرار أي بين الفكر والملاحظة؛
- المرونة والقابلية للتعدد والتنوع بتنوع العلوم والمشكلات؛
- القدرة على التنبؤ.

3. تقسيمات مناهج البحث العلمي:

يقسم زرواتي مناهج البحث العلمي:

- ❖ تقسيم حسب أسلوب التفكير: وتشمل: المنهج الاستنباطي (الاستنتاجي أو الاستقرائي)، المنهج الاستقرائي، المنهج المعياري؛
- ❖ تقسيم حسب الأسلوب الإجرائي: وتشمل المنهج الوصفي، المنهج المقارن، المنهج التاريخي، المنهج التجريبي، منهج دراسة الحالة، منهج تحليل المحتوى، المسح الاجتماعي، المنهج الانثروبولوجي، المنهج الاثنولوجي.

وفيما يلي شرح لأهم هذه المنهاج:

المنهج التاريخي:

يتمثل المنهج التاريخي في دراسة الظواهر التاريخية التي حدث في السابق واستخدامها لفهم الظواهر الحالية والتنبؤ بالمستقبل، ويعتمد هذا البحث على وضع الأدلة المأخوذة من السجلات والوثائق مع بعضها البعض للوصول إلى حقائق، إذا فهو يقوم على فهم وتحليل الظواهر التي حدثت في الماضي لتكون الأساس في الفهم الحالي والمستقبلي للحقائق.

وتتمثل مصادر الحصول على المعلومات في:

- الوثائق الرسمية؛
- التقارير الصحفية؛

- أقوال الشواهد؛
- المفكرات واليوميات؛
- الآثار؛
- السجلات الصوتية؛
- كتب وبحوث التاريخ.

ويتوجب على الباحث إجراء:

- تقييم خارجي للوثائق للتأكد من أنها صادرة من صاحبها أي تقييم مدى أصالة الوثيقة؛
- تقييم داخلي للوثيقة وذلك من خلال التحري عن محتوى الوثيقة أي مدى دقة وقيمة البيانات التي تتضمنها.

ويمر البحث التاريخي بالمراحل التالية: (دويدري، 2000)

- اختيار الموضوع المراد البحث فيه وبالتحديد تحديد المشكلة؛
- جمع البيانات أي الوثائق والسجلات وكل المصادر؛
- نقد الحقائق؛
- صياغة الفرضيات؛
- تفسير النتائج؛
- كتابة التقرير.

ومن المآخذ التي أخذت عن هذا المنهج نجد:

- صعوبة الحصول على المصادر؛
- صعوبة تقييم المصادر؛
- التاريخ لا يعيد نفسه؛
- صعوبة التجدد؛
- صعوبة التنبؤ لأن الأحداث الماضية كانت غير مخططة.

المنهج التجريبي:

يعرف المنهج التجريبي بأنه قيام الباحث بإجراء التجارب من اجل الوصول إلى الحقيقة وذلك من خلال التحكم في جميع العوامل والمتغيرات باستثناء متغير واحد، يتم تغييره بهدف معرفة مدى تأثيره في العملية، فتكشف التجربة بذلك عن العلاقات السببية حيث تعبر التجربة عن ملاحظة تحت ظروف محكومة

ومن أنواع التجارب حسب الكاتب السابق نذكر:

- التجارب المعملية التي تكون داخل المعامل والمؤسسات؛
- التجارب التي تستخدم المجموعات: إذ قد نستعمل مجموعة واحدة وندخل عليها العامل التجريبي أو نستعمل مجموعتين أحدها تجريبية والأخرى ضابطة، وهنا الباحث أمام ثلاث أنواع من المجموعات:
    - المجموعة الواحدة ويقوم بعدها بإدخال العامل أو إزالته وملاحظة التغيرات؛
    - الجماعة الموازية أو المتكافئة: هنا يكون هناك مجموعتين يشترط أن يكونا متجانسين لهما نفس الخواص ثم نقوم بإدخال العامل التجريبي على جماعة واحدة وهي التجريبية أما الضابطة فلا لنقوم بعد ذلك بالمقارنة بين المجموعتين؛
    - الجماعة المناوبة يقوم البحث باستخدام عدد من المجموعات ويقوم بإدخال العامل التجريبي على كل مجموعة عبر مراحل من الزمن لتصبح كل مجموعة تجريبية وضابطة لمجموعة أخرى.
- التجارب الطويلة والقصيرة حسب الزمن.

تكمن مراحل تطبيق هذا المنهج في: (بلواضح، 2016)

- تحديد المشكلة؛
- صياغة الفرضية؛
- تصميم التجارب؛
- القيام بالتجارب؛
- الملاحظة؛
- استنتاج النتائج؛
- كتابة التقرير.

المنهج الوصفي:

يعرف المنهج الوصفي على أنه طريقة علمية منظمة لوصف الظاهرة عن طريق جمع وتصنيف وترتيب وعرض وتحليل وتفسير وتعليل وتركيب للمعطيات النظرية والميدانية للوصول إلى نتائج علمية (زرواتي، 2007).

ويعرف أيضا على أنه وصف دقيق وتفصيلي لظاهرة من الظواهر نوعيا وكميا إذ أن التعبير الكيفي يصف الظاهرة ويحدد خواصها بينما التعبير الكمي يعطينا حجمها ومقدارها ومدى ارتباطها بالظواهر الأخرى. (دويدري،2000)

ويتبع المنهج الوصفي حسب هذا الأخير الخطوات الآتية:

- تفحص المشكل ودراسته دراسة وافية؛
- تحديد المشكلة؛
- صياغة الفرضية؛
- اختيار العينة؛
- تحديد طرق جمع البيانات؛
- جمع المادة العلمية؛
- التنظيم والتحليل والتفسير؛
- استخلاص النتائج؛
- كتابة البحث.

وتتمثل أدوات جمع البيانات في:

- الاستمارة؛
- الملاحظة؛
- المقابلة؛
- السجلات والوثائق والتقارير؛
- الكتب والمصادر.

منهج دراسة الحالة:

هو عبارة عن قيام الباحث ببحث متعمق في حالة من الحالات التي قد يكون فردا أو مجتمعا أو مؤسسة يقوم الباحث بجمع المعلومات الطافية وبعمق ثم تحليلها وتفسيرها للوصول إلى نتائج متعلقة بالحالة. (دويدري، 2000)

وهناك من يعتبر أن دراسة الحالة أداة أو أسلوب يتبع المسح الوصفي لأن الغاية لا تكمل فقط في جمع المعلومات وتحليلها وتفسيرها وإنما يجب معرفة العلاقات بين الظواهر والتعمق فيها والارتباطات الداخلية والخارجية، يقوم الباحث بجمع المعلومات عن ماضي وحاضر الحالة وعلاقتها مع غيرها من الحالات، خواصها دوافعها... ليرسم الباحث صورة دقيقة عن الحالة ويستطيع وضع الفروض عن أسبابها ويضع الحلول لها لأن غاية هذا المنهج هو تشخيصي علاجي. (دويدري، 2000)

وتتمثل خطوات هذا المنهج كما يلي: (دويدري، 2000)

- تحديد الظاهرة أو المشكلة أو الحالة؛
- تحديد المفاهيم؛
- تحديد الفروض؛
- اختبار العينة المماثلة للحالة؛
- تحديد أدوات جمع البيانات كالملاحظة، المقابلة؛
- تدريب جامعي البيانات؛
- جمع البيانات وتحليلها؛
- وضع تعميمات.

المنهج المقارن:

يقوم الباحث وفق هذا المنهج بالبحث عن أسباب حدوث ظاهرة معينة من خلال إجراء مقارنات بين الظواهر المختلفة لاكتشاف الأسباب والعوامل، وهنا الباحث عليه أن يركز على العلاقة السببية أي العلاقة بين السبب والنتيجة (عباس وآخرون، 2015)، ويرى (عليان، 2000) أن المنهج المقارن يقوم على معرفة كيف ولماذا تحدث الظواهر من خلال مقارنتها مع بعضها البعض وإيجاد أوجه التشابه والاختلاف، ويكون ذلك باتباع الطرق الآتية:

- التلازم في الوقوع؛
- التلازم في الوقوع وعدم الوقوع؛
- التلازم في عدم الوقوع؛

- العلاقات المتقاطعة (سبب1. سبب2، نتيجة1. نتيجة2)

ويمكن استخدام العديد من الأدوات لجمع المعلومات منها: الاستمارة، الملاحظات، المقابلات، الوثائق والسجلات، التقارير....

ويتبع المنهج المقارن الخطوات الآتية: (زرواتي، 2007)

- تحديد وملاحظة الظاهرة؛
- تحديد أبعاد المشكلة وأسبابها؛
- جمع المعلومات؛
- المقارنة أوج الشبه والاختلاف؛
- النتائج والاقتراحات؛
- إمكانية التعميم؛
- إمكانية التنبؤ.

منهج تحليل المحتوى:

يقوم هذا المنهج على قيام الباحث بتحليل وتفسير دقيق لمحتوى ومضمون وثائق معينة مكتوبة أو مسموعة ويجب على الباحث أن لا يتحيز عند اختيار المحتويات التي يريد تحليلها لتفسير الظواهر وهنا الباحث لا يحتاج إلى اتصال مع المبحوثين إذ تكون المعلومات متوفرة في الكتب والملفات، كما أن المعلومات تبقى كما هي قبل التحليل، ويمكن إعادة الدراسة مرات أخرى لبقاء المعلومات ثابتة. (عليان وغنيم، 2000)

إن الباحث قد يقوم وفق هذا المنهج بـ:

- تحليل محتويات تقارير المؤسسات؛
- تحليل المقابلات؛
- تحليل وثائق المؤسسات.....